نريدها .. والى الذات كما نحررها . والى العصر كما يعاملنا . ومن هنا ، يتبلور المحتوى الاساسي لادابنا الحديثة . انه أدب محاولة الحضور الذي يأخذ شكل المقاومة، لان الاطراف الثانية من الصراع ارغمتنا على تحديد طريقة اختبار الجدارة بالصراع . واولى حالات هذا الحضور في المكان المحدد .

ان حائط الاغتراب الذي اقامه التحدي والغزو الخارجيان آخذ في الانهيار ، ولكن آثاره او بعض اثاره ما زالت باقية فينا وفي مكاننا .

ان نعلن ونصرخ باننا عرب ليس مباهاة بوراثة ، وليس نفيا للغير . انه شكل من اشكال محاولة نفي ما ينفينا . انه مد لتجديد حضورنا في التاريخ وفي الذات معا . لقد واجهنا هذه الوقيعة بيننا وبين الينبوع .. بيننا وبين أسمائنا . لقد تعرضنا لمحاولات سحق ، أخذ أحد أشكالها هذه التجزئة الباقية للشعب العربي الواحد في الوطن العربي الواحد . ان العالم يسعى نحو الوحدة ، وحدة الامة ، ووحدة الجنس البشري . وهذا العالم الرأسمالي الغربي المدجج بالسلاح والحماقة والتهم يشترط وحدتنا بتفتيت شعوبنا ، للحيلولة دون مساهمتنا في بناء العصر ، كجزء من محاربته للعرب والاسيويين بشكل عام ، ليبقي على سطوته السياسية والاقتصادية والثقافية ، ولتبقى شعوب آسيا خارج منطقة التأثير في العصر ، محصورة في ساحة التأثر الذي ينتقيه الغرب : سوقا لاستهلاك منتجات الحضارة الاستهلاكية وأدب النموذج الغربي .

الخروج من الاغتراب ينفي الخارج والداخل معا . لان آثار الخارج الذي ما زال موجودا تمتد الى الداخل الذي ما زال شبه ممزق . ممزق بآفة الاستلاب وبكثير من مظاهر الركود التي ألفت هذا الاستلاب ، وهي مفاهيم وقيم تم التعاون المباشر او الضمني على سيادتها بين العدو الخارجي وحليفه الداخلي . ان الاعداء ، دائما ، لا يحملون الهدايا لضحاياهم . وثقافة « العالم الاول » المؤسسة — العالم الذي يحارب مداراة الشعوب للشقاء على أدنى مستوى من الرفض ، تحاصر الاديب العربي الثوري باختيارين شاقين ناجمين عن حالة رد الفعل ، لا الفعل . وها : الرفض الكلي للثقافة البرجوازية الغربية . او اللجوء الكلي الى الثقافة القومية الماضية بكل عناصرها . وكلا الاختيارين قادر على ابقاء الاديب العربي في حالة اللاتلاؤم مع طموحه الى اصطياد لحظة الزمن النشط .

ولعل ضيق هذا الاختيار واحد من أهم عذابات الاديب العربي في بحثه عن مكانه ودوره في تضييق المساحة بين التخلف والتقدم . هنا تطرح مشكلة الاصالة والتقليد . والثقافة الغربية تلح على أن يكون بديل رفضها عودة الى النسخ عبر زمن الموات الذي توقفت فيه ثقافتنا عن التجدد . وقد تكون أصلح الوسائل للخروج من هذه المحاصرة هو رفض الاختيار الناتج عن دائرة رد الفعل والدفاع السلبي ، بفعل بناء يهدم ما «تجدده» سلبية رد الفعل من بدائل . ولعل هذا الفعل البناء يقتضي رفض الخضوع لكلية الثقافة والسيطرة البرجوازية ورفض الخضوع التام لحرفية ثقافتنا الماضية التفصيلية ، لان بعض محتوياتها لم يعد قادرا على انقاذنا الايجابي من تحديات العصر ومتطلبات نمونا . هل يعني ذلك ان نرفض كل ما قدمه سوانا من ثقافة قومية لاعمت درجة تطوره؟ كلا ، ان بعض جوانب الثقافة قد تجاوز صدفته القومية ليذوب مسهما في عملية الابداع الانساني الشامل بعدما انفصل عن مبدعه . هكذا تغنى الثقافات والاداب ، بمساهمات شتى الشعوب في آثرائها ، جانب المطلق من قيم الانسان . ومن هنا يكون رفضنا لما يفرض علينا من الخارج او من الماضي — وهو شكل من أشكال الخارج — تجليا من تجليات المساهمة في الادب الانساني .

وان الشرط لهذا المستوى هو أن نحرر ثقافتنا القومية من محاولات طمسها الخارجية